البـــاب الأول

التـراث الدينـى اليهـودى

الفصل الأول: الكتب الدينية لليهودية والشخصيات الدينية

الفصل الثانى: العقائد الدينية اليهودية

الفصل الثالث: الفرق الدينية والمذاهب اليهودية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الكتب الدينية لليهودية والشخصيات الدينية

١ ـ التوراة [١]

للديانة اليهودية مصدران أساسيان هما: العهد القديم، والتلمود. ويطلق اسم التوراة تجوزًا على العهد القديم، فى حين أنه يشير أصلاً إلى الأسفار الخمسة الأولى منها أو ما تعرف بأسفار موسى. [وسوف نستعمل اسم التوراة لأنه أكثر شيوعًا للتدليل على العهد القديم، إلا إذا كان السياق يدل على أن المقصود هو الأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى)] ولا يستخدم اليهود تعبير (العهد القديم)، وإنما يستخدمه المسيحيون للتمييز بينه وبين (العهد الجديد) الذى يتضمن الأناجيل وغيرها الخاصة بالديانة المسيحية.

ويشتمل العهد القديم (التوارة) على تسع وثلاثين سفرًا (تضيف الكنيسة الكاثوليكية إليها سبعة أسفار أخرى). وهذه الأسفار هى:

* أسفار موسى الخمسة التى تسمى أيضًا التوراة وتحتوى الشرائع والقوانين والوصايا العشر، فضلاً عن أخبار تاريخية وهى سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ـ الجزء الخامس، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ـ د. أحمد شلبى: مقارنة الأديان ـ ١: اليهودية (مكتبة النهضة المصرية).

ويتضمن سفر التكوين قصص خلق العالم وآدم وأولاده ونوح وإبراهيم ونسله وينتهى بموت يوسف. أما سفر الخروج، فيتحدث عن خروج بنى إسرائيل من مصر حتى وصولهم شرق الأردن، وعن الوصايا العشر[1] وتعاليم دينية ويحتوى سفر اللاويين الكثير من التشريعات والوصايا والأحكام. ويتضمن سفر العدد ـ بوجه خاص ـ الكثير من الأعداد، ويروى سيرة بنى إسرائيل فى سيناء كما يحوى كثيراً من الطقوس. ويحوى سفر التثنية تكرار التشريعات والتعاليم الدينية ويتحدث عن الأطعمة الحلال وعن الكهنة والنبوة وينتهى بخبر وفاة موسى ودفنه.

* أسفار الأنبياء

وتتضمن تاريخ العبرانيين منذ وفاة موسى حتى هدم الهيكل.

* كتب الحكمة والأناشيد

وتتضمن مواد تاريخية وقصصية وغنائية.

ويرى اليهود الأرثوذكس أن كلمات العهد القديم ـ وأسفار موسى بصفة خاصة ـ هى كلام الله الذى أوحى به إلى موسى حرفيّا وهو كلام أزلى لا يتغير، كما أن بقية أسفاره نتاج الروح المقدسة ـ ولكن بدرجة أقل ـ فالعهد القديم لهم هو السلطة العليا التى لا يمكن التشكيك فيها، وتشكل أسفار موسى الخمسة أهم الأجزاء التى تعتبر بالنسبة إليهم جوهر اليهودية وشريعتها. أما اليهود الإصلاحيون والمحافظون والتجريديون فيرون أن العهد القديم مجرد إلهام من الله وليس وحيًا منه، وقد وصل هذا الإلهام بدرجات مختلفة.

ويبدو أن أسفار موسى الخمسة لم يبدأ تجميعها إلا فى القرن السابع قبل الميلاد ومع هذا لم تدون الأسفار بل ظلت تنتقل حتى استقر نصها فى حوالى القرن الرابع قبل الميلاد. ويتفق معظم شراح العهد القديم على أن النص المتداول حاليًا يرتد إلى أربعة مصادر (مصدر يهوه ورواته من جنوب مملكة يهوذا، ومصدر الوهيم ورواته

(١) تضمن سفرا الخروج والتثنية الوصايا العشر وهى: عدم اتخاذ آلهة أخرى وعدم صنع الأصنام، وتقديس السبت، وإكرام الوالدين، والنهى عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، وعدم اشتهاء أملاك القريب أو زوجته.

من مملكة إسرائيل الشمالية، ومصدر تثنية الشريعة وينسب إلى أحد ملوك اليهود، وحواشى الكهنة فى القرن الخامس ق.م.). وقد ترجمت أسفار موسى فى القرن الثالث قبل الميلاد إلى اليونانية، وتسمى الترجمة السبعينية نسبة إلى عدد المترجمين. أما أسفار الأنبياء، فتروى تاريخ فترة زمنية من التاريخ اليهودى تمتد بين حوالى سنة ١٣٠٠ وسنة ٣٠٠ ق.م، وقد جمعت خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى القرن الثالث ق.م. وأما كتب الحكمة، فيغلب عليها الطابع الأدبى، وعددها ١٤ سفرًا.

وقد وجه علماء دراسة التوراة إليها انتقادات كثيرة. ومن هذه الانتقادات ما يلى:

* إن كثيرًا من قصص أسفار موسى يتشابه مع أساطير وتشريعات بابلية أو مصرية قديمة مثل قصة الخلق والطوفان ومولد موسى، وقانون حمورابى. وعلى سبيل المثال هناك تشابه كبير بين أسطورة التكوين كما جاءت فى التوراة وأسطورة الخلق المصرية فى كتاب الموتى، وكذا بين قصة الطوفان مع ملحمة جلجامش البابلية والمزامير ونصوص البردى المصرية (١).

* إن التوراة تحتوى على متناقضات واختلافات بين بعض أجزائها، ومن ذلك اختلاف أسطورتى الخلق فى الإصحاحين الأول والثانى من سفر التكوين.

* إن ثمة ما يدل على أن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة المنسوبة إليه؛ حيث إن أجزاء منها مكتوبة بصيغة الغائب (قال موسى . . .)، فضلاً عن أنها تتحدث عن وفاة موسى.

* احتواء بعض أسفار التوراة وقائع أو أسماء أماكن لم تكن معروفة فى الزمن موضوع السفر (٢).

والسمة البارزة للديانة اليهودية ـ كما يتضمنها العهد القديم ـ هى أنها ديانة قومية. فهى منزلة على أمة معينة هى أمة بنى إسرائيل، التى عقد الإله معها ميثاقًا تقوم بمقتضاه بعبادته والالتزام بتعاليمه، مقابل ما يعطيه لها من أرض محددة يمكنهم من غزوها ويقوم بحمايتها ويجعل منها أمة عظيمة، بل وينصرها فى نهاية الأيام على كافة الأمم ويسوّدها عليها، حيث يبعث مسيحًا يقودها إلى النصر ويهزم أعداءها.

(١) شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة ـ كتب رياض الريس ـ ص ١٨٨.

(٢) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ـ تحرير زالمان شازار ـ المجلس الأعلى للثقافة.

والتوراة هى مصدر التاريخ اليهودى القديم، والذى يعتبر عند اليهود تاريخًا مقدسًا. وهو جزء لا يتجزأ من الديانة اليهودية (وسوف نستعرضه فى موضع لاحق). ونشير فى هذا المجال إلى أن العصر الذهبى لذلك التاريخ هو إقامة مملكة داود وسليمان، أما المرحلة التاريخية التى كانت لها آثار هامة على تطور الديانة اليهودية والمعتقدات الدينية، وخاصة ترسيخ عقيدة شعب الله المختار وظهور المسيح وعودة اليهود إلى أرض المعاد ـ وكذا على تحرير أسفار التوراة ـ فقد كانت مرحلة السبى البابلى (الجالوت) التى بدأت عام ٥٨٦ ق. م عندما قضى ملك بابل نبوخذ نصر على دويلة يهوذا التى انقسمت إليها وإلى دويلة إسرائيل مملكة داود وسليمان). وقد استمرت مرحلة السبى حوالى نصف قرن، عمل خلالها أنبياء بنى إسرائيل وخاصة حزقيال وإشعيا على الحفاظ على الديانة اليهودية، وإحياء أمل المنفيين فى العودة إلى أرض إسرائيل وإعادة بناء الهيكل الذى دمره البابليون. وتسجل التوراة وقع السبى البابلى على نفوس المنفيين، حيث يتضمن سفر المزامير «على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وبكينا عندما تذكرنا أورشليم. هناك علقنا أعوادنا على أشجار الصفصاف. هناك طلب منا الذين سبونا أن نشدو بترنيمة، والذين عذبونا أن نطربهم قائلين: «أنشدوا لنا من ترانيم صهيون» [المزامير: ١٣٧ : ١ ـ ٣].

ويبدو أنه فى مرحلة السبى البابلى أعيدت كتابة التاريخ الإسرائيلى القديم، وجرى تنسيق كثير من أسفار التوراة، بحيث أصبحت مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس ونظام الكهنوت والتمييز بين الشعب اليهودى المقدس وبقية الإنسانية. كما أن التركيز على الشريعة (القانون) أدى إلى ظهور طبقة الكتبة والاهتمام البالغ بشرح القانون وتأويله، ومن ثم إعداد التلمود. وقد أخذ اليهود ـ فى هذه المرحلة ـ عن الفرس أفكار الآخرة والبعث والملائكة والشياطين. وبعد أن انتصر الفرس على البابليين، سمح الملك كورش لليهود بالعودة. ومن المجموعات التى عادت الكاهنان نحميا وعزرا، وكان عزرا يدعو الشعب إلى العودة إلى شريعة موسى كاملة، ويذكرهم بأن السبى كان عقاب الإله لهم لخروجهم على قوانين التوراة، ومنها تلك التى تحرم عليهم الزواج من الأجنبيات مطالبًا إياهم بتطليقهن (وقد لقيت هذه الدعوة العنصرية قبولا منهم). وقد دونت التوراة، فى عصر عزرا، وقام بقراءتها على الشعب فى ساحة بيت الله، كما أعيد بناء الهيكل. وأخذ الاهتمام بشرح التوراة يتزايد منذ السبى البابلى، وبدأ وضع التلمود نتيجة

لمناقشات الحاخامات، كما سادت العقيدة الحاخامية (التلمودية) من حوالى القرن التاسع الميلادى. وبعد غزو الإسكندر الأكبر لفلسطين، انتشرت الحضارة اليونانية وتأثرت بها الديانة اليهودية، كما ظهرت الفرق الدينية المختلفة (والتى نشير إليها فى موضع لاحق).

ولم تعد التوراة هى مصدر الديانة اليهودية، بل أصبح التلمود يحتل مركزًا لا يقل عنها، بل يعلو عليها فى نظر بعض اليهود.

٢ ـ التلمود

التلمود كتاب موسوعى يتضمن إلى جانب الدين والشريعة اليهودية التاريخ والآداب والزراعة والصناعة والتجارة والفلك والتنجيم وغيرها، ويغطى الحياة الخاصة لليهودى بما فيها علاقته الزوجية.

وهو كتاب ضخم يزيد عدد مجلداته على عشرين مجلداً. ويوجد تلمودان: التلمود البابلى ـ والتلمود الأورشليمى. الأول ناتج عن مناقشات الحاخامات فى بابل، والثانى عن تلك التى دارت فى فلسطين. وقد بدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحى، واستغرق تأليفه حوالى خمسمائة عام.

وهو محاولة من جانب الحاخامات لتفسير العهد القديم. وكلا التلمودين مكون من المشناة والجماراة. أما المشناة، فتنقسم إلى ستة أقسام هى: الزراعة ـ والأعياد ـ والمرأة ـ والأضرار والتعويضات عنها والقداسة ـ والمقدسات ـ والطهارات. وأما الجماراة، فهى مناقشات ـ ومناظرات علماء اليهود حول المشناة. ومعظم المشناة تشريعات وقوانين (وتسمى هالاخا). والتلمود ـ فى نظر اليهود ـ يتضمن الشريعة الشفوية (التى تقابل الشريعة المكتوبة أى التوراة)، حيث يعتقدون أن الله أنزل على موسى الشريعتين، وأن أحكام التلمود موحى بها إلى الحاخامات والعلماء اليهود. واعتبر التلمود فى أول الأمر مساويًا فى القداسة للتوراة، ولكن بعض اليهود يعتبرونه أكثر قدسية منها.

وينسب إلى أحبار فريق الفريسيين (إحدى الفرق الدينية ونشير إليها فى موضع تال) أنهم هم من وضعوا التلمود، فى حين أن فريق القرائين يرفضون التلمود.

أما حركة التنوير الإصلاحية، فإنها هاجمت التلمود وأنكرت قداسته واعتبرته

مجرد تفسيرات تعبر عن السلطة الحاخامية ونفت كل قيمة إلزامية له، مبينّة ما به من خرافات تتناقض مع العقل.

وعلى العكس، تصدى أعضاء المؤسسة الحاخامية للدفاع عن التلمود رافضين أية محاولة لتطويره.

والواقع، أن التلمود يعكس النزعة الانعزالية لليهودية الحاخامية وروح التعالى على غير اليهود (الأغيار)، ويتضمن موقفًا عنصريًا متشددًا ضدهم ويشبههم بالحيوانات (الحمير والكلاب والخنازير)، وأنهم ما خلقوا على هيئة الإنسان إلا ليكونوا لائقين لخدمة اليهود، بل يعتبرهم أسوأ من الحيوانات. وقد أثار هذا الموقف العنصرى المسيحية فى العصور الوسطى، فحرم الإمبراطور جوستنيان نسخ التلمود وتوزيعه. وفى القرن الثالث عشر أحرقت آخر نسخه، كما أمر الڤاتيكان ـ فى القرن السادس عشر ـ بإحراق جميع نسخه.

وأدى ذلك إلى إدخال تعديلات لفظية فى التلمود لكى يستبدل بلفظ «الأغيار» ألفاظ أخرى تفاديًا لإثارة غضب المسيحيين. وسوف نتناول فيما بعد بشىء من التفصيل موقف التلمود من غير اليهود (الأغيار).

٣ ـ الأنبياء والكهنة والحاخامات[١]

الأنبياء

يعرف لويس جاكوبس فى كتابه: The Jewish Religion -A Companion[٢]. النبوة بأنها «الإلهام من جانب القوة الإلهية لأشخاص معينين، والذى يمكنهم من التحديق فى المستقبل ونقل رسائل من الله إلى غيرهم من الناس». وبالرغم من أن تعريف هذا العالم اليهودى للنبى قد لا يختلف كثيرًا عن تعريفه فى الإسلام، إلا أن ثمة اختلافات كبيرة عن مفهوم النبوة الإسرائيلية عنه فى الإسلام. ويحدد الدكتور

(١) راجع بصفة خاصة د. عبد الوهاب المسيرى: الموسوعتان: مرجعان سابقان.

(٢) Louis Jacobs: The Jewish Religion - Acompanion (Oxford University Press).

محمد خليفة حسن ـ فى كتابه عن (ظاهرة النبوة الإسرائيلية) ـ هذه الاختلافات من خلال التقييم الإسلامى لهذه النبوة، ومن أهمها ما يلى :

* إن التراث اليهودى لا يعترف بأنبياء غير أنبياء بنى إسرائيل ويفضل بعضهم على بعض، فمنهم الأنبياء الكبار والأنبياء الصغار.

* تتسم النظرة اليهودية لفكرة النبوة بالتعقيد وإدخال الغموض على وظيفة النبى والخلط بينه وبين الكهنوت والعرافة والتنبؤ.

* كما تتسم بالعنصرية، فلا يعترف اليهود بغير أنبياء بنى إسرائيل، فالأنبياء منهم وإليهم، ونادرًا ما تصور رسالات هؤلاء الأنبياء بأنها تعنى بمصير العالم والإنسانية.

ويلاحظ أن التراث اليهودى يعتبر عددًا من الأنبياء الوارد ذكرهم فى الإسلام ـ مثل نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ـ آباء لشعب إسرائيل، ويجعل نشاطهم أشبه بنشاط شيوخ القبائل ولا صلة لهم بالنبوة.

* إن مفهوم النبوة فى اليهودية قد اتسع ليشمل شخصيات لا تنطبق عليها صفات النبوة. فهناك من يسمون الأنبياء المحترفين الذين اتخذوا من التنبؤ حرفة لهم، وهناك طائفة من مدعى النبوة عرفت باسم الأنبياء الكذبة.

* يخلط بنو إسرائيل بين النبوة والملك، حيث ينسبون النبوة إلى عدد من ملوكهم، ذلك أن تشتتهم وانتهاء ملكهم لفترات طويلة أدى إلى احتلال النبوة مكانة الملك.

* خلط بنو إسرائيل بين وظيفة النبى ووظيفة المؤرخ[1].

وفى حين يضع الإسلام الأنبياء فى مكانة عالية تليق بهم كحملة الرسالات الإلهية، فإن كتاب العهد القديم ينسبون إليهم أفعالاً منكرة. فنوح يشرب الخمر فيسكر ويتعرى، وإبراهيم يحتمى بامرأته ويجنى من ورائها الغنم والجمال والعبيد، ولوط يضاجع ابنتيه، ويعقوب يتآمر مع أمه على أخيه عيسو لينال حق البكورية وبركة أبيه بالخداع، وداود يرتكب الزنا مع زوجة أوريا الحيثى ويعمل على التخلص منه وقتله، وسليمان يقتل أخاه.

وعلى أية حال، فبالرغم من أن الوظيفة الدينية للأنبياء كانت عملهم الأساسى،

(١) دكتور محمد خليفة حسن: ظاهرة النبوة الإسرائيلية (دار الزهراء للنشر ـ ١٩٩١).

فقد كانوا يحذرون جماعة إسرائيل من الشرك وعبادة الأوثان ويطالبونهم بالرجوع إلى الله، وإلا أنزل بهم عقابه الشديد وشتتهم وأخضعهم للأمم الأخرى، وقد قاموا كذلك بدور سياسى مهم، حيث كانوا يطلقون النبوءات السياسية، بل إن النبى صموئيل هو الذى عين شاؤول ملكًا كما عين داود من بعده. وهكذا تداخل القومى والدينى فى عمل أنبياء إسرائيل الذى شمل النقد السياسى ووصف الأحداث التاريخية.

الكهنة:[1]

يعتبر اليهود أنفسهم أمة من الكهنة والقديسين، ولكن الكهانة تقتصر على نسل هارون ـ أخى موسى حيث وضعت فيهم (لأنهم لم يعبدوا العجل)، ويسمى الكهنة اللاويين. وقد لعب الكهنة دورًا هامًا فى تطوير اليهودية، حيث وضعوا أنفسهم بين الناس والله، فالتوبة لا تكون مقبولة إلا إذا باركها الكاهن، وهو وحده القادر على تفسير الطقوس والأسرار الدينية. والكهانة تورث، لذا فإن الكهنة يكونون طبقة مخلقة. وقد كانت الكهانة متداخلة مع السلطة الزمنية ثم انفصلت منذ بدء عهد الملوك. ويرفض الإصلاحيون الكهانة ويعارضون امتيازات الكهنة، ويرون أن مؤسسة الكهانة انتهت مع هدم الهيكل. وللكاهن الأولوية فى تلاوة التوراة والأدعية على مائدة الطعام وتلاوة التبريكات الكهنوتية فى المعابد. ويحظر على الكاهن التواجد بالقرب من جثث الموتى إلا إذا كان الميت قريبًا مباشرًا له، كما يحظر عليه الزواج من مطلقة. ولم يكن من حق الكهنة أن يرثوا الأموال أو يمتلكوا الأراضى، ولكنهم يعفون من الضرائب ويأخذون العشور من نتاج الضأن، وكذا أول ما يحصد من الأرض، وما يبقى من القرابين فى الهيكل.

الحاخامات[2]

الحاخام فى اللغة العبرية تعنى الحكيم. ويمارس الحاخام وظيفة هامة، حيث يصدر

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الموسوعتان: مرجعان سابقان.اقرأ أيضًا د. كامل سعفان: اليهود تاريخًا وعقيدة (دار الاعتصام).
(٢) المرجع السابق.

الفتاوى ويرجع إليه اليهودى لاستفتائه فى أى من الأمور بسبب تشابك الطقوس الدينية وتداخلها فى الحياة اليومية.

ويختلف الإعداد الفكرى والدينى للحاخامات حسب انتمائهم الدينى والحضارى، ويمارس كثير من الحاخامات مهنًا أخرى إلى جانب عملهم كحاخامات، وقد كان للحاخامات دور هام، حيث إنهم قاموا بتفسير الشريعة المكتوبة وابتدعوا الشريعة الشفوية التى يتضمنها التلمود وطوروا اليهودية الكلاسيكية، ومنهم الكتبة ومعلمو المشناة والشراح وعلماء التلمود وأصحاب الشروح الإضافية من أمثال موسى ابن ميمون وراشى.

هذا، وقد انقسم الحاخامات إلى أرثوذكس معارضين للحركة الصهيونية ومناصرين لها (يمثلون الصهيونية الدينية)، وسوف نوضح موقف الفريقين عند الكلام عن هذه الحركة. واتخذ معظم الحاخامات موقفًا غاية فى التطرف تجاه الفلسطينيين والعرب عامة منذ استيلاء إسرائيل على الأراضى الفلسطينية عام ١٩٦٧م، فأصدروا الفتاوى التى تبيح قتلهم، وحذروا من إعادة أى جزء من تلك الأراضى معتبرين ذلك خطيئة كبرى.

ونشير - فيما يلى - إلى بعض هذه الفتاوى نقلاً عن مقال منشور فى مجلة القدس للدكتور أحمد الشحات هيكل (العدد ٩٩ صفحة ٢٨):

* وصف الحاخام عوفديا يوسف - الزعيم الروحى لحركة شاس - العرب بالثعابين ذاكرًا أنهم مثل الديدان والسرطان، ويجب على كافة اليهود التخلص منهم، وأن الله ندم بعدما خلق بنى إسماعيل من العرب والمسلمين.

* أفتى الحاخام شموئيل إلياهو بعدم جواز إلقاء التحية على العربى أو تشغيله والبيع له والشراء منه، فالشعب لا يجوز له أن يوفر عملاً ومعيشة لأعدائه. كما أفتى بأن حكم القرآن (وكتب الكفر) هو الحرق. وأفتى كذلك بجواز قيام اليهودى بإطلاق النار على أى عربى يشتبه فى أنه يخفى سلاحًا قد يستخدمه ضد اليهود.

* نقلت صحيفة يديعوت أحرونوت عن الزعيم الروحى لحركة شاس أن المسيح المخلص عندما يأتى سوف يرسل كل العرب إلى جهنم.

* أصدر الحاخام الأكبر السابق لإسرائيل مردخاى إلياهو فتوى بأنه يجب قتل جميع الفلسطينيين حتى أولئك الذين لا يشاركون فى القتال ضد الاحتلال.

* أفتى الحاخام آڤى رونتسكى بقصف البيوت الفلسطينية من الجو على من فيها.

* أصدرت لجنة حاخامات مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة فتوى تبيح قتل الأبرياء المدنيين من النساء والأطفال فى لبنان وفلسطين.

* أفتى الحاخام الأكبر ـ الذى ترأس اتحاد الحاخامات من أجل أرض فلسطين إفراهام شابير أنه وفقًا للتوراة يعتبر تسليم مساحات من أرض اليهود المقدسة للأغيار خطيئة وجريمة.

وبحسب دراسة لقسم العلوم الاجتماعية فى جامعة بار إيلان الإسرائيلية فإن ٩٠٪ من المتدينين يعتقدون أنه فى حالة تعارض قوانين الدولة وفتاوى الحاخامات فإنه يجب تجاهل قوانين الدولة. هذا، ويقصد باليهودية الحاخامية التلمودية الديانة اليهودية، كما صاغتها جهود الحاخامات نتيجة تفسيرهم للتوراة واعتبارها الشريعة المكتوبة وابتداعهم للشريعة الشفوية التى يتضمنها التلمود، وذلك بعكس الفرق التى لا تؤمن بالشريعة الشفوية. واليهودية الحاخامية التلمودية هى السائدة فى دولة إسرائيل، وتمثلها دار الحاخامية.

* * *

الفصل الثانى

العقائد الدينية اليهودية

١ ـ شعب الله المختار والعهد الإلهى :[١]

جاءت أول إشارة إلى العهد الإلهى فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين، بأن الرب قال لأبرام: «اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التى أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة لكثيرين، وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك. . . .».

وتكرر الوعد لإبراهيم، حيث جاء فى الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين: «فإن هذه التى تراها، سأعطيها لك ولذريتك إلى الأبد». «لك ولذريتك أعطيت هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر العظيم. . نهر الفرات» وبعد ذلك تأكد العهد الإلهى بشىء من التفصيل حيث يتضمن الاصحاح السابع عشر من السفر المذكور: «سر أمامى وكن كاملاً، فأجعل عهدى بينى وبينك. . . وأقيم عهدى الأبدى بينى وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك. وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التى نزلت فيها غريبًا، ملكا أبديًا. وأكون لهم إلهًا».

ثم يتكرر العهد مع إسحاق وموسى ويشوع، حيث يتضمن سفر يشوع أن «كل موضع تطؤه بطون أقدامكم أهبه لكم. . . من صحراء النقب فى الجنوب إلى جبال لبنان فى الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط فى الغرب إلى نهر الفرات» وأخيرًا

(١) انظر كتابنا: التطرف الإسرائيلى: جذوره وحصاده (دار الشروق).

يصبح العهد أبديًا فى بيت داود « فإننى أقيم بعدك من نسلك الذى يخرج من صلبك من أثبت مملكته هو يبنى بيتًا لاسمى، وأنا أثبت عرش مملكته إلى الأبد».

ونتوقف أمام النصوص السابقة وغيرها من نصوص أسفار التوراة ذات الصلة بالعهد الإلهى لنبدى الملاحظات التالية:

• لمن أعطى العهد الإلهى

قد يفهم من نصوص التوراة أن العهد الإلهى يقتصر على ذرية إسحاق ويستثنى ذرية إسماعيل.

فقد روت التوراة أن نوحًا ـ عليه السلام ـ شرب خمرًا حتى سكر وتعرى، ورآه ابنه حام فأخبر أخاه سام، فقام سام وأخوه يافث بستر عورة أبيهم، فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين ليكونوا عبيدًا لسام مدى الدهر.

والمعروف أن حام هو أبو الفلسطينيين والمصريين، أما سام فهو أبو اليهود، وكان ذلك هو الحرمان الأول.

ويأتى الحرمان الثانى فى التوراة بالقصة التى تتضمن أن يعقوب (إسرائيل) حصل من أبيه بالبركة التى كانت من حق عيسو أخيه الأكبر بالخداع. ويعقوب هو أبو بنى إسرائيل.

وأخيرًا يأتى الحرمان الثالث لذرية إسماعيل (أبى العرب).

ومع ذلك، فقد أكدت التوراة أن الله قد أعطى عهده لإبراهيم ونسله من بعده، وأن هذا العهد قائم مع داود ونسله إلى أبد الآبدين (وإسماعيل من نسل إبراهيم!)

وقد آثار تأكيد التوراة على أبدية العهد الإلهى رغم القضاء على مملكة داود وذريته فى عام ٥٨٧ ملاحظات خبراء دراسات العهد القديم، فذهب فرانك موركروس إلى أن هذا يدل على أن كاتبين مختلفين حررا سفر الملوك، أحدهما كان متفائلاً وواثقًا من أبدية تلك المملكة والآخر عاصر تدمير المملكة وروى ما حدث لها فى عهد الملوك الأربعة الأخيرة لمملكة يهوذا، وذلك مع الإبقاء على النص الخاص بأبدية مملكة داود ونسله.

كما يذهب علماء الدراسات التوراتية إلى أن الاختلافات والتناقضات التى تلاحظ بشأن العهد الإلهى تدل على أنها جمعت من ستة مصادر مختلفة ـ منها المكتوب، ومنها الشفوى ـ ثم دونت للمرة الأولى فى بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد، أى بعد مرور ثمانية قرون على وفاة موسى.

ومن ناحية أخرى، تختلف الآراء حول المقصودين بالعهد الإلهى ـ أى من يعتبرون شعب الله المختار ـ فقد استخدمت التوراة عند ذكر العهد لإبراهيم كلمة نسلك Thy Seed، الأمر الذى يعنى. فى رأى ألفريد جو يوم أستاذ دراسات العهد القديم ـ أنها تشمل العرب من أبناء إسماعيل، خاصة وأنها ذكرت فى موضع آخر «ومن أبناء الجارية (أى أم إسماعيل) أيضًا سوف أضع أمة لأنهم من نسلك».

أما المسيحيون، فيعتبرون العهد الإلهى موجهًا إلى كافة المؤمنين، فإسرائيل ـ بحسب قول بولس الرسول ـ هى جماعة كل المؤمنين. ومن ناحية أخرى، فإنه من الواضح بعد تشتت اليهود واختلاطهم بالأجناس الأخرى أنه لا يمكن اعتبارهم من أبناء العبرانيين فى زمن إبراهيم وذريته[1].

• العهد الإلهى مشروط

فى سفر الخروج، ينادى الرب موسى ويقول: «هكذا تقول لآل يعقوب، وتخبر شعب إسرائيل: لقد عاينتم بأنفسكم ما أجريته على مصر، وكيف حملتكم على أجنحة النور وجئت بكم إلىّ. لذلك إن أطعتم عهدى، تكونوا لى ملكًا خاصًا من بين جميع الشعوب، لأن لى كل الأرض، وتكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة».

وينذر الرب بنى إسرائيل بأنهم إذا ما عصوه ولم يتبعوا أوامره قائلاً «. . . وأحول مدنكم إلى خرائب، وأجعل مقادسكم موحشة، ولا أبتهج برائحة تقدمات سروركم، وأجعل الأرض قفرًا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها وأشتتكم بين الشعوب، وأجرد عليكم سيفى، وألاحقكم، وأحوِّل أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى

(١) راجع: كتاب القبيلة الثالثة عشرة لآرثر كويستلر (سلسلة اقرأ)، حيث يثبت الكاتب أن اليهود الحاليين ينتمون إلى شعب الخزر الذى عاش فى القرون الوسطى فى منطقة شرق أوروبا.

خرائب . . فتهلكون بين الشعوب، وتبتلعكم أرض أعدائكم . أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها فى أرض أعدائكم .

كما تتضمن أسفار التوراة ـ فى مواضع متعددة ـ تحذير بنى إسرائيل من عصيان الرب، وما ينزله بهم من العقوبات إذا ما نكثوا بميثاقه ونقضوا العهد الذى قطعه مع آبائهم . (سفر لاويين/ ٢٦ ـ وسفر التثنية/ ٢٩) .

ويتضح من هذه النصوص أن العهد الإلهى لإبراهيم وذريته مشروط بطاعة الله وتنفيذ تعاليمه وعبادته دون غيره، بحيث يوقع الله عقابه عليهم ويمكن منهم أعداءهم ويشتتهم فى الأرض إذا ما عصوه، وهذا ما يتفق مع مراحل التاريخ اليهودى التى نعرضها فيما بعد، كما يتفق مع ما تضمنه القرآن الكريم فى سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [البقرة : ٤٠] ومع ذلك، يفسر اليهود العهد الإلهى بأنه عهد أبدى، فأيا كانت خطاياهم فإن الله يصفح عنهم، ويكفل تثبيت مملكة داود ونسله إلى أبد الآبدين، فاختيار الرب لإسرائيل كان الخطوة الأولى لبلوغ غاية مرسومة هى إقامة المملكة الإلهية، حيث تسود إسرائيل على كافة الأمم (وفقًا لعقيدة المسيحانية التى سنتحدث عنها فيما بعد) .

• حدود الأرض الموعودة

أوضحنا ـ فيما سبق ـ الاختلافات التى تتضمنها أسفار التوراة بشأن حدود الأرض الموعود بها فى العهد الإلهى . وتعتبر الحركة الصهيونية أرض إسرائيل التاريخية شاملة كل الأراضى الفلسطينية ـ بما فيها شرق الأردن ـ والجولان السورية وجنوب لبنان اللذين كانا ـ فى رأيها ـ أجزاء من مملكة إسرائيل .

وعلى أية حال، فإن نصوص التوراة والتلمود بشأن حدود «أرض إسرائيل الدينية والتاريخية» تثير الخلافات فى تفسيرها . ويقسم المؤرخون اليهود هذه الأرض إلى ثلاث مجموعات : حدود الآباء «التى تمتد من نهر النيل إلى نهر

الفرات ـ وحدود مهاجرى مصر (فتوحات موسى ويوشع) ـ وحدود مهاجرى بابل» ويختلف هؤلاء المؤرخون بوجه خاص فيما يتعلق بتحديد الحدود الشمالية لتلك الأرض[١] .

أما رجال الدين الأصوليون، فيتوسعون فى تحديد «أرض إسرائيل Eretz Ysrael»، وعلى سبيل المثال، يرى يهود إليتسور ـ أحد كبار علماء جوسن إيمونيم ـ أن حدود هذه الأرض تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وشرق الأردن ودلتا النيل، كما يرى إسرائيل أريئيل أنها تشمل لبنان حتى طرابلس وأجزاء من سوريا والعراق وسيناء.

والخطورة هى فى اعتبار الأصوليين الدينيين التوسع لبلوغ هذه الحدود فريضة دينية. وقد أفتى الحاخام يهودا كوك بأنه «طالما أن الله قد فرض على اليهود الاستيطان فإنه يكون قد أمرهم بغزو هذه الأراضى من أجل أداء هذه الفريضة». وقد أفتى حاخامات بأن التنازل عن أى أجزاء من الأراضى التى احتلتها إسرائيل يعد معصية كبرى يعاقب عليها الرب الشعب اليهودى. وسوف نرى ـ فيما بعد ـ كيف أن قادة إسرائيل يدينون بتوسع الدولة ويبررون استيلاءها على الأراضى العربية بادعاء أنها كانت أجزاء من أرض إسرائيل الدينية أو التاريخية.

• اليهود والأغيار

الأغيار Goyyim هو الاسم الذى يطلقه اليهود على غيرهم من الأمم، فاليهود عندهم يشكلون فئة محددة من البشر هى التى اصطفاها الله، وهى شعبه المختار الذى أعطاه العهد. وكما يحل الإله فى الأرض [أرض الميعاد] لتصبح أرضًا مقدسة، فإنه يحل فى الشعب ليصبح شعبًا مختارًا. فالشعب اليهودى هو الشعب المقدس والأزلى والأبدى. فالتوراة تنص على ذلك، حيث يذكر سفر التثنية «لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم، وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبًا خاصًا» (١٤/ ٢)، كما تنص فى سفر اللاوين على أنه:

---

(١) انظر كتاب حدود أرض إسرائيل لموشيه برافر . . دار الجليل للنشر.

(أنا الرب إلهكم، ميزتكم عن بقية الشعوب. . . وكونوا قديسين لأنى أنا قدوس، وقد أفرزتكم من بين الشعوب لتكونوا لى. .) [٢٠ : ٢٤، ٢٦].

وبالرغم من أن الشريعة اليهودية تجعل للأتقياء من كل الأمم نصيبًا فى العالم الآخر، فقد توسع الفكر اليهودى ـ وخاصة التلمودى ـ فى تفسير اختيار الإله لليهود وتمييزهم عن غيرهم من الأمم إلى حدّ التعالى على (الأغيار)، وتحقيرهم والتفرقة فى التعامل مع اليهود وغيرهم من البشر.

فلم يقتصر الموقف اليهودى من (الأغيار) على حظر الزواج منهم وعدم الاعتراف بالزواج المختلط، بل وبعدم الأخذ بشهادة غير اليهود فى المحاكم الشرعية اليهودية، وبالغ كتبة التلمود فى موقفهم العدوانى من غير اليهودى.

ففى قول لأحد الحاخامات أن أرواح اليهود مصدرها روح الله، أما باقى الأمم فإن أرواحها مصدرها الروح النجسة. ويشبه آخرون الخارجين عن دين اليهود بالحيوانات من أمثال الكلاب والحمير والخنازير. ويتضمن التلمود أحكامًا عن معاملة الجويم منها أنه يسمح بغشهم وأخذ أموالهم بالربا وعدم رد أموالهم وأشيائهم المفقودة إليهم. ويورد إسرائيل شاحاك فى كتابه (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود)[١] أمثلة للتمييز بين اليهود وغيرهم فى أحكام التلمود، حيث (تفترض الهالاكا) أن جميع الأغيار على درجة عالية من الانحلال وتنطبق عليهم الآية الواردة فى سفر حزقيال (٢٣ : ٢٠) «الذين عورتهم كعورة الحمير ومنيهم كمنى الخيل». فمفهوم الزواج لا ينطبق على الأغيار، ومن ثم لا ينطبق مفهوم الزنا على ممارسة اليهودى الجنس مع امرأة غير يهودية، ولا يتعرض لعقوبة الموت التى تشير إليها التوراة بالنص على هذه العقوبة (لا تزن بزوجة أخيك)!.

هذا ـ وقد ساد العداء العلاقات بين اليهود والمسيحيين على مدى التاريخ، بسبب رفض اليهود للسيد المسيح واتهام المسيحيين لهم بأنهم قتلة المسيح، فظل هذا الموقف العدائى قائمًا إلى أن أعلن الڤاتيكان أخيرًا تبرئة اليهود.

---

(١) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ـ ترجمة حسن خضر (سينا للنشر).

ومن ناحية أخرى، أدى الإصلاح الدينى المسيحى فى القرن السادس عشر إلى تركيز البروتستانتينية على العهد القديم من الكتاب المقدس وظهور ما يعرف بالعقيدة الألفية (عن ظهور المسيح وحكمه العالم لمدة ألف عام) أدى إلى بدء الدعوة إلى عودة اليهود إلى فلسطين ونشأة ما يعرف بالصهيونية غير اليهودية.

(وسوف نتناول هذا الموضوع فيما بعد، وإنما نشير فى هذا المجال إلى أن التلمود يتضمن أوصافًا مقذعة للسيد المسيح والسيدة العذراء والمسيحيين بوجه عام).

أما عن موقف اليهود من الإسلام والمسلمين، فبالرغم من أن العصر الذهبى للتاريخ اليهودى كان خلال الحكم الإسلامى فى الأندلس وبالرغم من أن الدولة الإسلامية كانت على مدى التاريخ هى المكان الآمن الذى يكفل لليهود الحياة الكريمة ولم تعرف مظاهر العداء للسامية التى عرفها العالم الغربى، بالرغم من ذلك فإن الحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل أديتا إلى تفشى العداء بين اليهود والعرب والدخول فى حروب متواصلة بين إسرائيل والدول العربية. وقد أصبح العربى ممثلاً للأغيار يطبق بشأنه ما ورد فى التلمود عن الجويم.

وقد أدى استيلاء إسرائيل على الأراضى الفلسطينية إلى تأجج الصراع العربى الإسرائيلى وخاصة بشأن القدس والخليل وغيرهما من الأماكن المقدسة لدى اليهود والمسلمين، سواء بسبب العوامل الدينية أو التاريخية والسياسية.

وسوف نعاود الكلام عن هذا الصراع فى المواضع التالية من الكتاب.

• موقف التوراة من مصر

تطلق التوراة على مصر (بيت العبودية)، وتتحدث عن الانتقام الإلهى منها بسبب موقف فرعون من موسى وبنى إسرائيل، حيث أصابها بالعديد من الكوارث (هى تحويل مياه النيل إلى دم، وإصابة المصريين بالدمامل والبواسير، وإغراق بيوتهم بالضفادع والجراد، وإهلاك المحاصيل، وإصابة البلاد بالقحط).

وتتحدث التوراة عن إعطاء الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات إلى إبراهيم ونسله، وبأن «كل موضع تطؤه بطون أقدامكم أهبه لكم، كما وعدت موسى، فتمتد حدودكم من صحراء النقب فى الجنوب إلى جبال لبنان فى الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط فى الغرب إلى نهر الفرات فى الشرق...».

ويعد رب إسرائيل إياها بأن تكون مصر فدية لها «لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك»، ويسلط المصريين بعضهم على بعض: «أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه، وكل واحد صاحب مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها... فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود.. وتكون أرض إسرائيل ويهوذا رعبًا لمصر».

وفى الوقت نفسه، تستخدم التوراة مصر فزّاعة لليهود الذين يعصون الأوامر، فيحذرهم من إعادتهم إلى مصر (بيت العبودية).

٢ ـ عقيدة المسيحانية[١]

مفاد هذه العقيدة: هى أنه فى نهاية التاريخ ـ بعد ظهور النبى إلياهو ـ يأتى ملك من نسل داود ليعدل مسار التاريخ اليهودى ـ والبشرى ـ فيأتى لليهود بالخلاص وينهى عذابهم ويجمع شتاتهم ويعود بهم إلى (صهيون)، ويحطم أعداءهم ويتخذ من أورشاليم عاصمة، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية، ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة، وعندئذ يبدأ الفردوس الأرضى الذى يدوم ألف عام وتسود صهيون على كل الأمم التى ستقوم على خدمة المسيح.

وهذه العقيدة مستخلصة من تفسير نصوص أوردتها أسفار فى التوراة وخاصة أسفار إشعيا وإرميا وحزقيال.

ففى سفر إشعيا: «وهذا ما يقوله السيد الرب ها أنا أرفع يدى إلى الأمم وأنصب رايتى إلى الشعوب، فيحملون أبناءك فى أحضانهم وبناتك على أكتافهم. يكون لك

(١) انظر كتابنا: التطرف الإسرائيلى ـ مرجع سابق.

الملوك آباء مربين، وملكاتهم مرضعات، ينحنون أمامك بوجوه مطرقة إلى الأرض، ويلحسون تراب قدميك. عندئذ تدركين أننى أنا الرب، وكل من يتكل على لا يخزى». (إصحاح ٤٩) وفيه أيضا: «ويحدث فى آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، وعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك فى سبيله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضى بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد». (إصحاح ٢).

وفى سفر حزقيال: «لذلك قل لهم: سأجمعكم من بين الشعوب وأحشدكم من الأراضى التى شتتكم فيها وأهبكم أرض إسرائيل. وعندما يقبلون إليها ينتزعون منها جميع أوثانها الممقوتة ورجاساتها، وأعطيهم جميعا قلبًا واحدًا، وأجعل فى داخلهم روحًا جديدًا، وأزيل قلب الحجر من لحمهم وأستبدله بقلب من لحم» (إصحاح ١١).

والعقيدة المسيحانية امتداد لعقيدة الشعب المختار والعهد الإلهى لليهود. ومفادها أن التاريخ اليهودى ـ أى التاريخ المقدس ـ له غاية محددة مرسومة هى إقامة المملكة الإلهية. ففى العهد المسيحانى يظهر المسيح ويحطم الأمم العاصية ويهزم الملوك الذين يهاجمون صهيون (أى إسرائيل).

وأن خلاص البشرية يتبع خلاص إسرائيل، ومهما كانت معصية اليهود فإن الإله يصفح عنها «لأن بنى إسرائيل سيبقون خلال أيام طويلة بدون ملك وبدون رؤساء، وبعد ذلك سوف يعود بنو إسرائيل وسوف يبحثون عن إلههم الأبدى وعن داود ملكهم ويسارعون مرتعدين نحو إلههم». فعودة اليهود إلى الأراضى المقدسة مرتبطة بعودتهم إلى الله.

ومن الواضح أن هذه العقيدة تولدت من شعور اليهود بالضعف والخضوع للحكم الأجنبى، والتطلع إلى عهد مملكة داود ـ الأمر الذى يفسر نسبة المسيح إلى نسل داود وقد انتشرت فى عهد الحكم الرومانى.

والواقع، أنها ترجع إلى عقيدة فارسية عن انتصار الخير على الشر، وقد بدأت تظهر فى أثناء السبى البابلى لليهود، ثم تأصلت فى الوجدان اليهودى. وظل اليهود متعلقين بأمل ظهور المسيح، وظهر على مدى التاريخ شخصيات ادعت أو اعتبرها اليهود المسيح المنتظر والتف حولها اليهود. ومن أشهر هؤلاء شاباتاى تسفى الذى ظهر فى القرن السابع عشر فى الدولة العثمانية (بعد مقتل الآلاف من يهود أوروبا الشرقية على أيدى القوزاق) وتبعته غالبية اليهود، وقام بدوره باستحداث شرائع جديدة، وأبطل بعض الفرائض وغير التقويم اليهودى إيذانًا ببدء العهد المسيحانى، وقد أحدث الاضطرابات فى كثير من البلدان بسبب استعداد اليهود فيها لاستقباله أو السفر إليه، لذا قام السلطان العثمانى بسجنه وخيره بين القتل أو اعتناق الإسلام، فاختار الخروج من اليهودية واعتناق الدين الإسلامى.

وقد كان للعقيدة المسيحانية تأثيرها فى الفكر الدينى المسيحى، فظهر ما يعرف (بالصهيونية غير اليهودية) والتى انتشرت نتيجة لحركة الإصلاح الدينى البروتستانتينية فى القرن السادس عشر، مطالبة بعودة اليهود إلى فلسطين وإحياء دولتهم القديمة فيها.

والواقع أن هذه الحركة التى تستند إلى عقيدة المسيحانية المستخلصة من أسفار العهد القديم للكتاب المقدس ـ والتى اهتم البروتستانت بتفسيرها ـ هى التى مهدت الطريق أمام نشأة ونجاح الحركة اليهودية الصهيونية.

وبالرغم من أن عقيدة المسيحانية ـ حسبما جاءت فى أسفار العهد القديم ـ مفادها أن عودة اليهود إلى الأراضى المقدسة تخضع لإرادة الله وحده، وهو الذى يحدد بإرادته موعد ظهور المسيح وبدء العصر المسيحانى، فإن الحركة الصهيونية اليهودية قد خالفت هذه العقيدة وأنشأت دولة إسرائيل وفتحت أبوابها لليهود من كل مكان، ومع ذلك فقد وجدت الحاخامات الذين يؤيدونها.

٣ـ الهيكل[١]

الهيكل هو المعبد الذى بناه سليمان لعبادة الرب. وقد أقيم على الطراز الفرعونى،

(١) د. عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم ـ مرجع سابق، ـ د. أحمد شلبى: اليهودية ـ مرجع سابق.

وقام ببنائه عمال جلبهم سليمان من صيدا وصور لعدم خبرة اليهود بفنون العمارة. وكان دخول الهيكل مقصوراً على الكهنة، كما كان قدس الأقداس فيه يحفظ به تابوت العهد الذى يفتح مرة واحدة فى يوم الغفران.

وقد قام البابليون ـ بقيادة بنوخذ نصر ـ بهدم الهيكل، ثم أعاد اليهود بناءه بعد العودة من السبى، وقام هيرود بتوسيعه وبناء سور حوله، ولكن الرومان هدموا الهيكل عام ٧٠م، ويعتقد اليهود أن حائط المبكى جزء منه.

ويطلق اليهود على هيكل سليمان الهيكل الأول، وعلى هيكل هيرود الهيكل الثانى.

ويمثل هدم الهيكل كارثة كبرى لليهود، ويحاول الإسرائيليون إعادة بنائه، زاعمين أن المسجد الأقصى قد بنى على أطلال الهيكل، ومن ثم يواصلون الحفريات فى المنطقة ويتخذون من هذا الادعاء ذريعة للتمسك بالسيادة على الحرم القدسى (الذى يسمونه جبل الهيكل).

٤ ـ تابوت العهد وتابوت الشريعة وقدس الأقداس[١]

جاءت الإشارة إلى التابوت فى سفر الخروج الذى يتضمن أوصافه ويعتقد اليهود أن التابوت يحوى اللوحين اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر. وهو عبارة عن صندوق محلى بالذهب من الداخل والخارج، وكان اليهود يحملونه فى ترحالهم وحروبهم، ولا يقوم بحمله إلا اللاويون (من نسل هارون). وفى غير حالة الترحال يوضع التابوت فى قدس الأقداس داخل خيمة الاجتماع. وقد سقط التابوت مرة فى أيدى الفلسطينيين ولكنهم أعادوه اعتقاداً بأنه سبب لهم الكوارث.

وتذكر التوراة أن موسى نزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده وأنهما من صنع الله.

ويعد تابوت العهد امتداداً لفكرة تابوت الشريعة، والتى تستخدم حالياً للتعبير عن الصندوق الذى يحتفظ فيه بلفائف الشريعة، وأسفار موسى الخمسة فى المعبد اليهودى

---

(١) المرجع السابق.

ولا يفتح إلا فى المناسبات الهامة، ويثبت فى الحائط الشرقى المتجه إلى أورشاليم، ويعد المناظر المعاصر لقدس الأقداس.

أما قدس الأقداس، فهو الحجرة التى توجد فى الهيكل اليهودى، وتحتوى على تابوت العهد، ولا يدخله إلا كبير الكهنة فى عيد يوم الغفران، وهو أقدس الأماكن فى الهيكل.

٥ ـ البعث والثواب والعقاب[١]

لا توجد فى العهد القديم إشارة واضحة إلى بعث الموتى والحياة الأبدية، ولم يعرف اليهود فكرة الآخرة إلا بعد السبى البابلى، وإن كانت هذه الفكرة لم تظهر صراحة إلا بعد ظهور المسيح. وقد ظلت فكرة البعث مرتبطة بالعودة القومية إلى أرض إسرائيل. فوفقًا للفكر الحاخامى ـ مر الإنسان بثلاث مراحل: مرحلة صعود الروح إلى السماء بعد الموت ـ ومرحلة الزمن المسيحانى فى نهاية الأيام ـ وأخيرًا مرحلة بعث الموتى. وقد اعتبر موسى بن ميمون البعث أحد مبادئ الإيمان، ومع ذلك فإن الاتجاه الحديث ـ خاصة لدى اليهودية الإصلاحية ـ هو إنكار بعث الموتى. (لويس جاكوبس ـ الديانة اليهودية ـ مرجع سابق) أما عن يوم الحساب فوفقًا لعقيدة المسيحانية ـ السابق الكلام عنها ـ يؤمن اليهود بيوم الرب الذى يحاسب فيه الله من ألحق الأذى بالشعب اليهودى، وقد تحول هذا المفهوم القومى على يد النبى عاموس إلى مفهوم يوم الحساب الذى يحاكم فيه كل الناس يهودا كانوا أو أغيارًا، وفيه سيتطهر اليهود ويعود الصالحون منهم إلى أرض الميعاد ليحيوا حياة سعيدة وو فقًا له فإن يوم الرب سيأتى قبل البعث.

ويذكر الدكتور أحمد شلبى ـ فى كتابه (مقارنة الأديان ـ ١ : اليهودية) أنه لما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان، فإنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، ولم ترد فيها فكرة البعث إلا بعد أن أخذها اليهود من الفرس ولعلهم أخذوا شيئًا من المصريين. وعندما تكلموا عن الآخرة لم يكونوا يعنون وجود دار للحساب وإنما ذهبوا إلى أن الشعب اليهودى قسمان: قسم عاش سعيدًا وحرًا، وآخر عاش فى المنفى مشردًا ومن حقه أن يعود للحياة مرة أخرى لأخذ نصيبه من المتعة.

---

(١) المرجع السابق.

الفصل الثالث

الفرق الدينية والمذاهب اليهودية[1]

١ ـ الفرق الدينية الرئيسية

❁ الفريسيون:

طائفة شديدة التعصب تتمسك بحرفية النصوص الظاهرة، وقد عزلت نفسها عن بقية اليهود ووصفتهم بأنهم عوام الأرض، واعتبرت نفسها خاصة الخاصة. وهى الطائفة التى وضعت التلمود، وتؤمن بأن أرواح اليهود تتميز بأنها جزء من الله، أما أرواح غيرهم فهى شيطانية وأن نطفة هؤلاء كنطفة سائر الحيوانات، وقد ظهرت هذه الفرقة قبيل ظهور المسيح الذى عانى منها ووصفها بأقبح الأوصاف، وضمنت ـ بدورها ـ التلمود تعاليم عدائية جدًا ضد المسيح والمسيحية.

والكتبة جماعة من فرقة الفريسيين كانت تقوم بكتابة أسفار التوراة والعهد القديم والتعليق عليها وشرحها.

❁ الصدوقيون:

وهم فرقة تنتسب إلى صادوق الكاهن الأكبر فى عهد سليمان والذى ينتسب إلى

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الموسوعتان ـ مرجعان سابقان.
ـ د. كامل سعفان: اليهود تاريخًا وعقيدة (دار الاعتصام).
ـ د. حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى ـ أطواره ومذاهبه (دار القلم ـ الدار الشامية).

obeikandl.com

هارون (أخى موسى) وفقًا لإحدى الروايات، فى حين تنفى ذلك رواية أخرى وتنسبهم إلى كاهن آخر يحمل الاسم نفسه. وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء ومتأثرة بالثقافة اليونانية. وقد أنكروا تعاليم التلمود وعارضوا الفريسيين وطقوسهم، بل وأنكروا أسفار العهد القديم عدا الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، وكانوا يرون أن التوراة ليست لها قدسية مطلقة؛ لأن الأحبار وضعوا الكثير مما فيها. وهم لا يؤمنون بالبعث ويؤمنون بحرية اختيار الإنسان، وقد تأثروا بوجه خاص بفلسفة أبيقور صاحب مذهب اللذة القائل بأن اللذة هى أسمى أهداف الحياة.

*** القراءون:**

وهى فرقة تؤمن بالأسفار الخمسة وسفر يشوع، أما بقية أسفار التوراة فلا يعتبرونها وحيًا رغم أنهم يعترفون بها. كما أنها تقول بالاجتهاد.

وقد ظهرت هذه الفرقة فى العراق فى القرن الثامن الميلادى، وتأثرت بأفكار الفرق الإسلامية وبعلم الكلام والمعتزلة، وهاجمت الفريسين وأعلنت عدم قبولها بتعاليم التلمود، واحتدم الجدل والعراك بين الفرقتين، حيث اعتبرهم الفريسيون من الزنادقة، وبدأ نشاطهم يتقلص منذ القرن السابع عشر الميلادى، بينما ازداد التلموديون قوة ونشاطًا.

*** السامريون:**

هم سكان السامرة (منطقة نابلس). ولا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة. ولهم نسخة من التوراة ـ هى التوراة السامرية ـ وتختلف كثيرًا عن التوراة الأخرى. وقد امتزجت معتقداتهم بكثير من الأفكار والطقوس الوثنية. وقد بنوا هيكلهم فى القرن الرابع قبل الميلاد، وجعلوا مكانه قبلتهم.

*** الأسينيون:**

ظهرت هذه الفرقة فى القرن الثالث قبل الميلاد، واستمرت إلى قرب عهد المسيح. وقد انتهج الأسينيون حياة الزهد والتقشف والطهارة، وعاشوا منعزلين فى جماعات لكلٍّ منها رئيس يسمى العدل أو الهادى وأنكروا على غيرهم من اليهود عقائدهم

وسلوكهم. وكانوا دائمًا فى انتظار ظهور المسيح، ويؤمنون بأسفار موسى الخمسة والأسفار الأخرى. وهم جناح متطرف من الفريسيين ويؤمنون بعقيدتهم. وقد ألقت الاكتشافات الأثرية عام ١٩٤٧م الضوء على هذه الفرقة، حيث عثر على مجموعة كبيرة من المخطوطات فى مغارة قمران قرب البحر الميت (ما يعرف بمخطوطات البحر الميت) وتعتبر هذه الاكتشافات بالغة الأهمية؛ إذ يتضح منها أن التوراة الحالية تختلف عما كان موجودًا لدى هذه الفرقة والتى تعتبر مخطوطات البحر الميت أقدم المخطوطات التى عثر عليها؛ حيث كتبت حوالى القرن الأول قبل الميلاد ويبدو أن هذه الفرقة أبيدت بشكل غامض قبل ظهور المسيح.

❁ الأبيونيون:

ومعنى اسمهم بالعبرية (الفقراء أو المساكين)، وكانوا يعيشون حياة الزهد ويكرهون أفعال الفريسيين. واتبعوا الشريعة اليهودية وأصروا على أن المسيحيين ملزمون بها ورفضوا فكرة ألوهية المسيح وولادته العذرية رغم إيمانهم بأنه المسيح الذى اختاره الله عند تعميده. وقد حاربهم القديس بولس واستطاع أن يقضى عليهم.

❁ القناءون (المتعصبون):

وهى فرقة أشد تعصبًا من الفريسيين، وكان ظهورهم بعد هزيمة المكابيين واندثار دولتهم على أيدى الرومان. وكانوا يقومون باغتيال الرومان واليهود المتعاونين معهم.

❁ الحسيديون:

كلمة حسيد ـ فى العبرية ـ معناها التقى، وتستخدم حديثًا للدلالة على الحركة الدينية الصوفية التى أسسها بعل شيم طرف، والتى بدأت فى القرن الثامن عشر فى أوروبا الشرقية وانتشرت بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمعاتها وتدنى الحياة الدينية والثقافية فى الجيتو اليهودى.

وتؤمن هذه الحركة بأن الله موجود فى كل شىء وأن هدف الإنسان فى حياته هو الالتصاق بالله، وتدعو إلى عبادته بكل الطرق، ومن أهم مفاهيم هذه الحركة مفهوم التساديك (الصديق) وهو شخص مقدس يعتقدون فى قدرته على شفاء المرضى ويعتبرونه حلقة الوصل مع الله.

ومن ناحية أخرى، تعرب عن حبها الشديد لأرض إسرائيل، وتدعو اليهود إلى الخروج من بلاد الأغيار والهجرة إلى صهيون. وقد كان لهذه الحركة أثر كبير فى انتشار الحركة الصهيونية، حيث نشأ معظم مفكرى الصهيونية وزعمائها فى بيئة حسيدية.

*** القبالة:**

هى حركة تصوف ظهرت منذ أواخر القرن الثانى عشر تؤمن بالتأويلات الباطنية والصوفية، حيث تفترض أن الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الإلهى، وأن ثمة وحدة تنتظم كل المخلوقات حتى يصبح الخالق والمخلوقات هما نفس الشىء. وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم وقراءة الكف وتحضير الأرواح وتؤمن بوجود منطق خفى للأرقام.

٢ ـ المذاهب اليهودية

*** المذهب الأرثوذكسى:**

بالرغم من أن هذا المذهب يعتبر رد فعل لظهور الحركة الإصلاحية اليهودية والمذهب الإصلاحى، فإن مبادئه تعتبر امتداداً لليهودية الحاخامية التلمودية. وقد تزعم الحركة الأرثوذكسية الحاخام سيمون هيرش الذى هاجم اليهودية الإصلاحية، مؤكداً أن التوراة هى كلام الله وقد كتبها حرفًا حرفًا وقيمتها خالدة، وأن على الشعب اليهودى اتباعها والإيمان بالشريعة المكتوبة والشفوية وكل الكتب الحاخامية. ورفض هيرش التغيير والتطوير مدافعًا عن كل المعتقدات والأساطير القديمة بما فيها ظهور المسيح والعودة إلى فلسطين. وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية فى إسرائيل إذ تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية ووزارة الشئون الدينية.

*** المذهب الإصلاحى:**

هذا المذهب هو ثمرة لحركة الاستنارة اليهودية وفكر منديلسون حيث حاول مؤسسو المذهب إعادة صياغة اليهودية بما يتلائم مع العصر والتمييز بين ما هو مطلق وما هو مرتبط بزمان أو مكان معين.

وذهب أنصار هذا المذهب إلى أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله بل هو وثيقة من صنع الإنسان ونتاج وعيه التاريخى، وقد فقدت بعض التقاليد اليهودية صلتها بالواقع ويلزم تطويرها.

واتخذ المذهب موقفًا معاديًا من الصهيونية.

*** المذهب المحافظ:**

يمثل هذا المذهب مكانا وسطًا بين المذهبين السابقين، فهو يأخذ بالتقاليد الحاخامية ولكن يفسر الشريعة وفقًا لمتطلبات الحياة الحديثة، ويتخذ موقفًا إيجابيًا من التطلعات القومية اليهودية وإقامة الوطن القومى اليهودى. ويعارض المذهب فكرة البعث، ويحدد ثلاثة مبادئ تمثل أهدافه: تقوية وحدة عالمية إسرائيل ـ ودوام التقاليد اليهودية ـ ورعاية التعليم اليهودى، ويتخذ موقفًا متسامحًا تجاه ممارسات أعضائه.

وقد انبثقت من هذا المذهب حركة تجديدية أسسها الحاخام مردخاى كابلان للوصول إلى صيغة تلائم أوضاع الأمريكيين الذين يعيشون فى ظل حضارة علمانية براجماتية، فهو ينكر الوحى الإلهى ويعتبر الدين اختراعًا إنسانيًا وتعبيرًا عن روح الشعب، وهو يقدس التراث اليهودى بدلاً من تقديس الله.

* * *